



10 أغسطس 2019  
كتب: صبري عبدالقادر

ليتك اللهم ليك.. ليك لا شريك لك ليك.. إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك ليك، بهذا النشيد المحبب إلى القلب ارتفعت أصوات حجاج بيت الله به، بل ارتفع به قلب كل مؤمن في هذه الأيام الكريمة، لقد أسرعت الأجساد للطواف ببيت الله الحرام، وصفت القلوب وقت أن وقفت بين أيدي الله الغفور الشكور، طالبة الغفران والرحمة.

إن الحج هو أسمى معاني الوحدة بين المسلمين فانظر كيف أن كل مسلم في كل مكان يدخر المال لهذه الوقفة الكريمة التي ينتغي من ورائها غفران الله للذنوب، بل ينتغي تجسيد أسمى معاني الوحدة بين المسلمين، ولهذه المعاني كان الإمام البنا حرصاً كل الحرص على السفر في الشهر الحرام للطواف حول الكعبة، ومقابلة المسلمين لتعليمهم فضل الوحدة بين المسلمين، وفضل هذا الشهر وهذه الكعبة في توحيد المسلمين.

فكتب الإمام البنا بهذا المناسبة وتحت عنوان (حول الكعبة) يقول: «وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ (26)﴾ (الحج).

هناك قواعد أساسية تقوم عليها الإنسانية الصالحة، منها المساواة، والأخوة، ومقاومة الشر، وحب السلام والخير، وحسن الصلة بالله العلى الكبير.

ولقد جاء الإسلام الحنيف بنادي بهذه القواعد، وبقررها فرائض من فرائضه وأهدافاً توصل إليها كل تعاليمه وينطق بها القرآن الكريم، وتظهر جلية في أحاديث النبي العظيم صلى الله عليه وسلم وأفعاله وكل تصرفاته.

ولكن التقرير النظري لا يكفي وحده حتى تقوم الأعمال التطبيقية، والرموز الحسية بتجسيم هذه المعنويات وتدعيمها في النفوس، والأفئدة، والأرواح. ولهذه المهمة الجليلة شرع الله الحج، وفرضه على المستطيعين من عباده، وقال: «وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ (آل عمران: من الآية 97).

هذا الإحرام الذي يتجرد فيه كل حاج من ثيابه جميعاً، ويرتدي ثوبين اثنين بسيطين كل البساطة في شكلهما، ولونيهما، ووضعيهما، إزار ورداء لا غير.. إنما هو إعلان لهذه المساواة بين الناس بزوال شارات التفريق التي تحملها هذه الملابس العادية باختلاف قيمها، وأشكالها، وألوانها، ومظاهرها. إنك لترى الحجاج وقد تجردوا من ثيابهم، وأحرموا لله رب العالمين؛ فلا تكاد تميز بين أمير ومأمور، وكبير وصغير، ورئيس ومرؤوس، ووجيه ومغمور، كل أولئك قد سوى بينهم المظهر الجديد؛ فلا اختلاف ولا تمييز.

وبهذا الإحرام يحرم على الحاج أن يخلق شعره، أو يقص ظفره، أو يقطع شجرًا، أو يهيج صيدًا، أو يقتل حشرة، أو ينال مخلوقًا بسوء؛ حتى لو لقي قاتل أبيه لما استطاع أن يمد إليه يداً، أو ينتج إليه بانتقام، وهذا تدريب عملي يتجسم به معنى المسالمة والسلام، فتنتليج به النفوس، وتنطوي عليه الجوانح والقلوب.

وهذه الكعبة المشرفة التي رفع قواعدها إبراهيم، وأعانته في ذلك إسماعيل إنما هي علم الوحدة الإنسانية والأخوة البشرية، ورمز ارتباط القلوب والنفوس والأرواح «جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْغُرْبَةَ قِيَامًا لِلنَّاسِ﴾ (المائدة: من الآية 97)، تهوي إليها الأفئدة، وتطوف بها القلوب تارة، والأشخاص تارة أخرى، وتستقبلها الوجوه في كل مكان إيداناً بوحدة الوجهة، وتقديرًا لهذه الوحدة. والحجر الأسود فيها نقطة التقاء المشاعر الإنسانية، والعواطف الإخوانية؛ فمن صافحه فكأنما يصافح إخوانه من بني الإنسان جميعاً، ومن قبله فكأنما يرسل إليهم على صفحته بإخلاصه ومودته ومظهر إخوانته ومحبتة.

وهذه الجمرات يقف أمام هدفها الحاج متملاً أن قوى الشر قد جسمت في إبليس لعنة الله، أنه الآن قد طهر من الآثام، وخرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه، بعد أن سعد بوقفة عرفات، وتدلّت عليه من الله الرحمت والفيوضات؛ فعليه أن يكون للرحمن ولياً،

وللشيطان عدوًّا، وإنه ليعرب عن كل هذه المشاعر، ويرمز إلى مدلول هذه الخواطر بهذا العدد من الحصى يقذف به وجه عدوه اللعين؛ إرضاء للرحمن، ورجمًا للشيطان، باسم الله والله أكبر.

والحاج في كل هذه المواقف موصول القلب بالله- تبارك وتعالى-، معلق النفس والروح بمغفرته ومنوبته ورضائه ومحبتته، فإذا أحرم فشعاره "ليكن اللهم ليكن، ليكن لا شريك لك ليكن، إن الحمد والنعمة لك والملك، لا شريك لك"، وإذا طاف فعمله دعوات صاعدة إلى السماء، وابتهاال وبكاء، والتزام ودعاء، واستلام وتقبيل، وأنس برحمة الله الكبير الجليل، اللهم إيمانًا بك، وتصديقًا بكتابك، ووفاءً بعهدك، وإتباعًا لسنة نبيك صلى الله عليه وسلم.

ويقول الذين لا يعلمون: إن هذه الكعبة والحجر بقية من وثنية الجاهلية أفرها الإسلام، ونقول لهؤلاء: إنما جاء الإسلام ليحطم الوثنية في كل صورها، وليقضي على عبادة الأوثان والأصنام، وإن كل موقف من مواقف الحج إنما هو تقرير لهذه الوجدانية، وإسلام الوجوه والقلوب لله وحده الملك العلام، وإنما مثل الكعبة والحجر كمثل هذا العلم تنصبه الدول رمزًا لمجدها، وشعارًا لوطنها، فتحقق له القلوب، وتهتز لاهترازه الأفتدة لا لذاته، ولكن لما يشير إليه من معنى عظيم، وشعور كريم.

ولقد أراد الله الحكيم العليم أن تكون الكعبة هكذا غَلَمًا مَرَكُورًا على الأرض؛ تتجسم به الوحدة العالمية، ويرمز إلى هذه الأخوة الإنسانية، واختار إبراهيم وهو موضع التقدير والتكريم من كل أهل الأديان السماوية؛ لإنفاذ هذه الإرادة الربانية، فصعد بأمر الله واستجاب لنداء مولاه، وسأله بعد ذلك أن يتقبل عمله، وأن يبارك له فيما أولاه ﴿وَإِذْ بَرَّعَ إِبْرَاهِيمَ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلَ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (127) رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ وَمِن دُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (128)﴾ (البقرة)، ولعلها الحكمة الإلهية أن يقطع الله على هؤلاء المتربصين جبل الجدل وتشقيق الكلام بأن يختار لهذه المهمة محطم الأصنام.

وإن العمل العظيم في مغزاه ليصغر إذا جهل الناس هدفه وممرماه، وكذلك هذا الحج الذي أقام الله به دعائم الصلاح والقوة في الحياة أصبح عند الكثيرين عبادة آلية عادية يؤدونها، وخبرهم من يرجو بها المنوبة والأجر، أما ما وراء ذلك من المنافع المادية والروحية والاجتماعية التي أشارت إليها الآية الكريمة «لِيَتَشَهَّدُوا مَتَافِعَ لَهُمْ وَيَذَكِّرُوا اسْمَ اللَّهِ» (الحج: من الآية 28)؛ فإنهم لا يظلمون فيها التفكير، ولا ينظرون إليها نظرة الفاحص الخبير.

فاللهم فقهننا في ديننا، وانفعنا بهذا الفقه في دنيانا وآخرتنا، واجعلنا جميعًا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه، أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب".

إن البيت الحرام له مكانة في قلب كل مسلم في العالم، فهو بيت الله الحرام والذي جعل الله توحيدًا لأفتدة المؤمنين في كل مكان، بل ملتقى هذه القلوب الطاهرة التي أنت حبوا لله، إنها قلوب صفت وطهرت، فلقد تجرد كل حاج من الرفث واللغو والفسق، وطهر لسانه وقلبه طمعًا في أن تنزل رحمت الله عليهم في يوم عرفات.

ولقد كتب أيضا الإمام البنا حول هذا المعنى تحت عنوان (حكمة) يقول: «وَمَنْ يُؤْتِ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَدَّكُرُ إِلَّا الْأُولُؤَا الْأَلْبَابِ» (البقرة: من الآية 269).

هذا البيت الحرام بين يدي رسول صلى الله عليه وسلم، وها هو يرى فيما يرى النائم- ورؤيا الأنبياء وحي مطاع مصدق- أنه يطوف بالبيت، ويسعى بين الصفا والمروة، ويعتمر أممًا مطمئنًا، وإذن فلا بد لهذه الرؤيا من تصديق، ولا بد من رحلة إلى مكة المكرمة بعد أن طال بها العهد وشط عنها المزار.

وتقف بجانب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه على أبواب مكة عند الحديبية، وقد سافوا الهدى وأهلوا بالعمرة، وتذهل فريش لهذا النبأ، فيأتمرون ويقسمون ألا يدخلها عليهم محمد وأصحابه عنوة، ويوفد إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم عثمان بن عفان رضي الله عنه ليفاوضهم في الأمر، وليعلمهم أنهم ما جاءوا فاتحين ولا محاربين، وإنما جاءوا لعمرة ونسك، ولا يحل لهم أن يصدوا أحدًا عن بيت الله، أو يحولوا بينه وبين ما يريد من طواف وسعي، فيحتجزه القوم فترة.

ويصل نبأ ذلك إلى الرسول صلى الله عليه وسلم، فيسند ظهره إلى الشجرة، ويتنادى أصحابه إلى البيعة، بيعة الموت والغداء واستخلاص الحق بالدماء، ويفزع ذلك قلوب المتجبرين في مكة، فيطلقون عثمان، ويوفدون الرسل إلى النبي صلى الله عليه وسلم ليردوه عن قصده، ويتردد هؤلاء الرسل بين القوم والنبي عليه الصلاة والسلام.

وينتهي الأمر إلى انفاق ظننه فريش انتصارًا، ووطنه الكثير من المسلمين إجحافًا، وكاد يذهب الطن ببعضهم إلى أنه رضا بالدينة، ويعجبون كيف يرضاه رسول الله صلى الله عليه وسلم، ووافق عليه، ويسميه الله- تبارك وتعالى- فتخًا قريبًا ومعانم ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا (18) وَمَعَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا (19) وَعَدَّكُمْ اللَّهُ مَعَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَذِهِ وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنْكُمْ وَلِتَكُونَ آيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا (20) وَأُخْرَى لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ اللَّهُ بِهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا (21)﴾ (الفتح).

وكان عمل رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الحكمة التي من يؤتها فقد أوتى خيرًا كثيرًا".

وتحت عنوان (هدى النبي صلى الله عليه وسلم في العيدين) كتب الإمام البنا يقول:-

1- عن أنس قال: قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ولهم يومان يلعبون فيهما، فقال: "قد أبدلكم الله بهما خيرًا منهما: يوم الأضحى ويوم الفطر" أخرجه أبو داود والنسائي بإسناد صحيح. أول عيد شرع في الإسلام عيد الفطر في السنة الثانية من الهجرة، وفي الحديث دليل على أن إظهار السرور في العيدين مندوب.

2- عن ابن بريدة عن أبيه قال: "كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يخرج يوم الفطر حتى يطعم، ولا يطعم يوم عيد الأضحى حتى يصلى" رواه أحمد.

3- وعن أم عطية الأنصارية قالت: "أمرنا أن نخرج العواتق والحیض في العیدین يشهدن الخير ودعوة المسلمين، ويعتزل الحیض المصلی " متفق عليه.

4- وعن علی رضي الله عنه قال: "من الشئنة أن يخرج إلى العید ماشيًا" رواه الترمذی.

يروى ابن ماجه من حدیث أبي رافع وغيره أنه صلى الله عليه وسلم كان يخرج إلى العید ماشيًا، ويرجع ماشيًا.

5- وعن أبي سعيد رضي الله عنه قال: "كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخرج يوم الفطر والأضحى إلى المصلی، وأول شيء يبدأ به الصلاة، ثم ينصرف فيقوم مقابل الناس والناس على صفوفهم فيعظهم ويأمرهم" متفق عليه.

ومنه تعلم أن صلاة العید بالمصلی أفضل من صلاتها في المسجد، وبه قال الأئمة الثلاثة، ووافقهم الشافعي إلا إن كان في البلد مسجد يسع أهله جميعًا فتكون الصلاة فيه أفضل، وقد كان مصلی النبي صلى الله عليه وسلم مكانيًا بينه وبين مسجده ألف ذراع، ولم يترك النبي صلى الله عليه وسلم صلاة العید فيه إلا يوم أصابهم المطر، كما في حدیث أبي هريرة.

6- وعن ابن عمر قال: "كان رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر يصلون العیدین قبل الخطبة" متفق عليه.

وإنما قدّمت الخطبة قبل الصلاة في عهد عثمان رضي الله عنه وهو اجتهاده، والسنة ما علمت.

7- وعن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى العید بلا أذان ولا إقامة، واختاره أبو داود، وروى الشافعي عن الثقة عن الزهري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يأمر المؤذن في العید أن يقول: "الصلاة جامعة"، وهذا يصلح سندًا لمن يفعلون ذلك.

8- وعن أبي سعيد قال: "كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يصلی قبل العید شيئًا، فإذا رجع إلى منزله صلى ركعتين"، وهو يدل على منع التنفل قبل العید.

9- وعن ابن عباس- رضي الله عنهما- أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى يوم العید ركعتين لم يصل قبلها ولا بعدها، أخرجه السبعة.

هو دليل على أن صلاة العید ركعتان، وهل هي واجبة أو فرض كفائي أو سنة مؤكدة؟ أقوال عند الأئمة.

10- وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال قال نبي الله صلى الله عليه وسلم: "التكبير في الفطر سبع في الأولى وخمس في الأخيرة، والقراءة بعدهما كلتيهما" أخرجه أبو داود.

وعليه العمل بين الناس اليوم، وإن كان أبو حنيفة يرى أن التكبير خمس في الأولى قبل القراءة وثلاث في الثانية بعدها. قد روي ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم.

11- وعن أبي واقد الليثي رضي الله عنه قال: "كان النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ في الفطر والأضحى بقاف واقتربت" أخرجه مسلم. وفي بعض الآثار أنه كان يقرأ بالأعلى والغاشية؛ فكلاهما سنة.

وكان صلى الله عليه وسلم يسكت بين كل تكبيرتين سكتة لطيفة، ولم يحفظ عنه ذكر معين بين التكبيرتين، ولكن ذكر الخلال عن ابن مسعود أنه قال: "يحمد الله ويثنى عليه ويصلي على النبي صلى الله عليه وسلم".

وكان ابن عمر مع تحريه الإتيان يرفع يديه مع كل تكبيرة.

12- عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذ يوم العید في طريق، ورجع في طريق أخرى.

#### خاتمة:

التكبير في العیدین مشروع عند الجماهير، وقد اختلفوا في وقته، والأوضح أنه في الفطر من مغرب أول ليلة من شوال إلى خروج الإمام لصلاة العید في الأماكن المختلفة جهراً، والوارد في صيغه كثير، وروى البيهقي بإسناد إلى سلمان "أنه كان يعلمهم التكبير ويقول: كبروا: الله أكبر، الله أكبر كبيرًا- أو قال كثيرًا- اللهم أنت أعلى وأجل من أن تكون لك صاحبة أو يكون لك ولد أو يكون لك شريك في الملك أو يكون لك ولي من الذل وكبره تكبيرًا، اللهم اغفر لنا، اللهم ارحمنا". وأصح ما ورد فيه ما رواه عبد الرزاق عن سلمان بسند صحيح قال: "كبروا: الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر كبيرًا"، وفي الأمر سعة ويندب لبس أحسن الثياب والتطيب والغسل، وقد ورد ذلك في عدة آثار.